

الاسلام وحرية العقيدة

وكتاب الدعوة الاسلامية

أرسل محمد سعدي بك مكاتب جريدة اقدام التركية في لندن مقالة الى جريدته في الآستانة اقتبسها عن فصل لمجلة (الشرق الادنى) الانكليزية نشرته بمناسبة صدور كتاب الاستاذ ارنولد الذي سماه «الدعوة الاسلامية The Preaching of Islam» ونحن نترجم هذه المقالة عن جريدة اقدام وهذا نصها :

« كان الكتاب الجديد الذي أصدره الاستاذ { ارنولد } وقع عظيم عند الراغبين في درس أحوال العالم الاسلامي . لانه فيما كانت الكتب التي سبق انتشارها بشأن الشريعة الاسلامية وصاحبها ملوثة بالكاذب والاغلاط اذا يكتب الاستاذ { ارنولد } قد كشف النقاب عما فيها من البهتان بما امتاز به كتابه من التحقيق وقد أبان لنا هذا الكتاب أحوال الاسلام منذ ظهر في أم القرى الى أن هم أقطار الدنيا فكان دينا ماما للناس أجمعين ، وإن فيه من الفصول النافعة عن كيفية انتشار الاسلام بين العرب فالأتراك ما يصح أن يكون تاريخنا لهذا الدين

وإن الاستاذ ارنولد قد دحض بتمامه وبلاغته وحكمته تلك القرية التي اخترعها بعض المسيحيين المتعصبين عن انتشار الاسلام بالسيف في بدء ظهوره حتى قال في رد ذلك : « أن الاسلام لم يستن بالسيف بقدر ما استنانت النصرانية بالنار والمال »

ثم قال : « وإن (خرافة السيف) هذه التي يذكرها المتعصبون من النصارى بحجة ونهم ليس لها أصل في الحقيقة لان التقاليد التي جرى عليها الاسلام والحكمة العامة التي جاء بها القرآن دائرتان حول توحيد البشر السلام والصلاح . والاسلام دين من السهل تسره وقد أرشد محمد (صلى الله عليه وسلم) كل المسلمين الى ضرورة السعي لهذه الغاية بتعليمه إياهم أن يعلموا غيرهم ما يعلمونه . وهذه الهداية النبوية قد عملت في نشر الاسلام مالا تمسه قوة السياسة والحيش . ونحن نرى الآن كيف أن الحكومات الاسلامية كلها أشرفت على الهلاك ومع ذلك كان الاقبال على الاسلام أعظم من الاقبال على أي دين آخر ، والداخلون فيه يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا يظهر للباحث من النظر في أبسط الاحصائيات ، وفي هذه الامور ما يدنا على أمر قطعي وهو أن الاسلام قام على أساس قوة حكومية معنوية لا يحتاج معها الى قوة مادية لنشر دعوته

٩٣٠ سبب فتوحات العرب وانتشار الاسلام وكونه فطريا عقليا مدنيا (المنار ج ١٧ ص ١٦)

« وما يدعو الى الحيرة والتعجب أن كل انصار كان للعرب في حروبهم وكل استيلاء كان لهم في فتوحهم لم يكن شيء منه في شكل « حرب دينية » الا أن هذا السمل العظيم الذي قام به العرب لم يكن مما يسر أولئك المسيحيين فنصروه بالفتوة التي شأوها له وتوجهت أنظار كل مؤرخهم الى أن الاسلام انتشر بقوة السيف، أما الوسائل الأخرى التي كانت للاسلام في انتشاره فكانت مجهولة عند أولئك المؤرخين » الحقيقة ان الجيش العربي لم يترك ديار فارس وبيزنس ليفير دين سكانها، بل ان مسألة الدين كانت آخر شيء يخطر على بال الجيش العربي

« الباحث الحقيقي على تلك النهضة العربية العامة هو أن هذه الأمة الشجاعة النشيطة قد أحست وهي في البادية بحاجة الى التبسط في الثروة وال عمران فدفعتها هذه الحاجة الى عمالك حيرانها وكان اندفاعها تاما ومتغلما وكانت حركته مسيرة بالتأثير الطبيعي الذي تملك الحكومات الملهمة في المدينة المتورة، وهذه الحكومة أسست بحكمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الذين أخذوا الهداية عنه فأنشأ بها الاسلام الى اليوم وصيقي مادينا رسميا تاما فأنشأ الى الابد، ونحن اذا نظرنا في الامر نظرة انصاف يتبين لنا ان انتشار الدين الاسلامي لم يساعد عليه نهضة ذلك الجيش العربي الفاتح الظافر بل الذي ساعد على انتشاره الحالة النفسية التي كان فيها سكان البلاد المفتوحة

« وان نصارى الشرق بعد الفتح العربي كانوا متمعين بجزية الدين الحقيقية الزاهرة الى حد ان النصارى الشرقيين كانوا يرجعون اليه في الادارة الاسلامية لما وأوا من أن الحرية المذهبية عند بني دينهم في الغرب كانت لفظا مجردا عن معناها الصحيح » الدين الاسلامي دين منطقي فطري منزه كل النزوه عن الاساطير والخرافات وهو قائم على الاحكام الصادرة من أبواب العقول السليمة بدون غرض ولهذا صار الاسلام مقبولا في كل الاقطار »



ومن الناس من يزعم أن الاسلام ليس دينا اجتماعيا ولكن الاستاذ ارنولد يدحض هذا الزعم بقوله : « الاسلام دين عملي جاء بالهداية الحكيمه لكثير من الفلاسفة والشعراء والملوك الآلهين والحكام . وقد مر على هذه الارض زمان كادت تفتقر فيه بظلمة الجهل فأدركها الاسلام بدارسه الجامعة ، ومن ذا الذي ينكر القوائد العظمى التي نالتها أوروبا من هذه المدارس الاسلامية وما بثته البنا من العلوم والفلسفة ؟ » واذا شاء القارئ دليلا أعظم من هذا قول له حسب الاسلام أن يكون منزها

عن نقية الرهبانية وعن مونة التبشير والرئاسة الدينية ، أما الدعوة الى الاسلام فهي واجبة على كل مسلم لافي مقابل أجرة من متاع الدنيا كما هي الحال في النصرانية بل في سبيل الله والله ، والفرق بين الدعوتين ظاهر

« وان الدعوتين تظهران بما لهما من الأثر في أفريقية ، فالدعوة الى الاسلام يقوم بها هناك التجار المسلمون وان هؤلاء التجار فضلا حقيقيا في القضاء على تجارة الرقيق كما أن لهم الحمة العالية في نشر الاسلام . وأما يتلومون عادة الرق لانه يؤلمهم أن يباع اخواتهم المسلمون كما تباع السلع . ويرون هذا منافيا لرابطة الإخاء ، ولذلك كان التجار الحقيقي في منع الرق من أفريقية من نصيب الاسلام

« وكذلك اذا أردنا أن نقول الحقيقة بشرف وانصاف فلا بد من القول بأن الذي علم الزوج مزينة التفنقة والتناعة والاحلاق الانسانية هو الاسلام أيضا ، ولهذا كان الاسلام جديرا بما كان له في الاقطار الافريقية من الحب في القلوب والاقبال عليه من الجميع والنظر اليه بأنه مسجزة عارقة »

ومن الناس من قال أن الاسلام دين لا تدخل فيه الا الامم التي في الشرق المتوسط وذلك لما جاء في هذا الدين من الاحكام القاسية التي تنافي مبادئ المدنية فكان جواب الاستاذ أن قوله على هذه التهمة بما يأتي :

« ان في هذا القول مغالطة وهو مخالف للواقع لان الاسلام قد انتشر في الصين وبلاد المغول والترك وفي الامم الكثيرة في شرق آسيا وفي وسطها وهؤلاء يهودون بلالايين وفي كل يوم تظم اليهم ألوف جديدة من الناس » اهـ
ذلك هو كتاب المستر أنولد الذي نشره حديثا نأبان به أسباب ارتقاء الاسلام وتقديمه ذا كرا ذلك بلسان ترجمه وانصاف عال

ويقول الكاتب الفاضل المستر « ويليم مكسويل » الذي صدق على هذه المسائل : « ان الحالة السيئة التي وصل اليها المسلم الاسلامي لا عار فيها على الاسلام مطلقا . والسبب الحقيقي لتدني المسلمين هو أن الاثراك المسيحيين على الاسلام في هذه الايام ينما كان يجب عليهم أن يأخذوا بروح الهداية الاسلامية والماني القرآنية تركوا كل هذا وانصرفوا الى الافراط والاشكال وصاروا يهربون من الارتقاء والتجديد والحياة في صغير أمورهم وكبيرها »

وان الذي قرأ كتاب الاستاذ أنولد باهتمام خاص يجد فيه الأسباب التي تعثر الاسلام وتبث فيه روح الحياة » انتهى
المؤيد

(المنار) : ان (أونولد) من فضلاء الانكليز المستقلين في رأيهم، التصفين في حكمهم، الذين قلنا أن عددهم في الاوربيين لا يحصى، وهو قد عاشر المسلمين في الهند واطلع على كثير من كتبهم، فلم يأخذ علمه بالاسلام عن دعاة النصرانية ولا عن رجال السياسة الذين قلنا فيهم إهم يشعرون أهـل الانصاف من أقوامهم بما يشعرون به الاسلام. وكتابه هذا ليس جديدا بل ألفه منذ أعوام، وربما نشر بالطبع نشرًا جديدا كتب الرجل كتابه على بصيرة وعلم يزينهما الانصاف فقل غلطه في اخباره وفي آرائه أيضا. فما يخطئه به كل مسلم قوله - بحسن النية وقصد المدح - « ان احكام الاسلام صادرة من أرباب العقول السليمة بدون غرض » على أنها عبارة يمكن تفسيرها تفسيرًا صحيحًا بان الاحكام الاسلامية المستنبطة من الكتاب والسنة إنما استنبطها علماء عقلاء اتبعوا فيها الحق والمصلحة لا الأغراض والاهواء. وإنما يخطئ ما يتبادر الى الافهام من ان مراده بما ذكر أصل الاسلام من كتابه وسنة الداعي اليه صلى الله عليه وسلم، وان ذلك كان قاج عدة عقول سليمة. ومن لم يؤمن بالوحي لا مندوحة له عن مثل هذا الرأي. وكذلك قوله « ان مسألة الدين كانت آخر ما يخطر في بال الجيش العربي الفاتح » والصواب عندنا ان هداية الناس الى الاسلام كانت أول ما يخطر في بال اولئك الفاتحين ولكن بدون اكراه ولا اجبار، فكانوا يستقدون ان فتحهم للبلاد وحماية حرية الدين فيها مع العدل والمساواة هو الذي يقهر لاهلها المستعدين للتمييز بطلان ما قبلوا فيه صلفهم، وحققة ما عليه الفاتحون لبلادهم، فكان لدخول الناس في الاسلام افواجا سيبان (احدهما) ما كانت عليه الشعوب التي فتح العرب بلادها من الحرافات والتقاليد الباطلة (وثانيهما) ما رأوه من فضائل العرب وعدلهم وحريةهم وحققة دينهم. فكانت حاشم النفسية أعظم داع الى دينهم الحق، واقتصر هو على السبب الاول. نعم انه أصاب في قوله: ان فتوحاتهم ما كانت دينية بالمعنى الذي يفهمه الأوروبيون. وهو التكيل بالتحالف او يرجع عن دينه. فهذا المعنى ما خطر في بال أحد من فاتحي العرب في وقت ما ولا يبيحه الاسلام. وأما قوله ان الاسلام لا يحتاج الى دعاة وبشركن فهو إنما يصح اذا أقامه أهله، اما وقد صار جمهور أهله منصرفين عن هداية العليا بالقل، ودعاة النصرانية بها جهونه بالتضليل والافتك، فقد وجب ان يترتب ويتعلم طائفة من المسلمين كيف يدعون اليه ببيان حقيقته، وكيف يدافعون عنه بانظار أباطيل خصومه. واما قول (ولم مكسويل) ان سبب ضئف المسلمين هو ترك الترك لروح هداية القرآن، فهو وان أقرء مكاتب اقدام وادارة تحريرها من الترك يحتاج الى شرح طويل